العتاب النبوي وتوظيفه في العملية التربوية

د. سعيد جرجيس عبدالله*

المستخلص

تتباين الأساليب التربوية في معالجة الأخطاء والتي يقع فيها الطلاب حسب الموقف والمقام، والظروف المحيطة بالعملية التعليمية، إذ إنَّ سلوكيات الطلبة مختلفة، لذا تأتي المعالجات بصور متعددة بحيث تتناسب مع حالة الخطأ من غير أن يؤدي ذلك إلى تطور المشكلة. حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالأحاديث والمواقف التي عاتب فيها الرسول (ﷺ) والصيغ والأساليب التي مارسها في معالجاته الأخطاء، وسوء الفهم التي قد تبدر من بعض أصحابه (ﷺ) ، أو الداخلين الجدد في الإسلام، بحيث لم تترك آثار سلبية في نفوسهم، ولم يوقعهم في حرج، وكيفية تقبلهم لهذا العتاب النبوي الرقيق واللطيف، والاستجابة إلى ما دعا إليه الرسول (ﷺ) مع إمكانية توظيف هذا الأسلوب في العملية التربوية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يستنبط من الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية دليلاً على طريقة التعامل مع المتعلمين، من خلال عرض الأحاديث ذات الصلة بالموضوع وتحليلها واستنباط مفاهيم العتب وأساليبه منها.

ومن أهم النتائج التي توصلت الدراسة إليها:

١. تنوع أساليب العتاب في السنة النبوية.

٢. العتاب لا يتعارض وآليات المنهج الحديث.

٣. إمكانية جعل العتاب بديلاً عن بعض الأساليب التربوية.

ومن أهم التوصيات التي تقترحها الدراسة:

١. تقبل العتاب من الآخرين برحابة صدر.

٢. الابتعاد عن جعل العتاب محوراً أساسياً أثناء التدريس.

٣. اختيار الألفاظ المناسبة عند العتاب.

Abstract

Educational methods differ in dealing with faults in which students fall into according to the situation, the place, and the circumstances surrounding the educational process, as the students' behaviors are different, so the treatments come in multiple forms to suit the state of fault without leading to the development of the problem. Where this study aims to define the hadiths and situations in which the Messenger (ﷺ) reprimanded, and the formulas and methods that he practiced in his treatment of faults, and misunderstandings that may arise from some of his

* جامعة دهوك/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية.

companions, may God be pleased with them, or the new converters to Islam, so that they did not leave negative effects in their souls, and did not sign them in embarrassment, and how they accept this kind and gentle prophetic admonition, and respond to what the Messenger (ﷺ) called for, with the possibility of employing this method in the educational process. The study relied on deductive descriptive method, which elicits from the noble hadiths and the Prophet's biography as evidence of the way to deal with the educated, by presenting and analyzing the hadiths related to the subject and deducing the concepts and methods of reproach from them.

Among the most important findings of the study:

1 Diversity of the methods of admonition in the Sunnah.

2- Admonition does not contradict the mechanisms of the modern curriculum.

3- The possibility of making admonition a substitute for some educational methods.

Among the most important recommendations proposed by the study:

1- Accept blame from others with open arms.

2 Avoid making reproach a main focus during teaching.

3- Choosing the appropriate words when admonishing.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المعلِّم الأول، محمد (ﷺ) وبعد:

يمكن القول إنَّ نهوض المجتمع ورقيه معقود بصحة التعليم وجودة التربية، والمناهج التعليمية مهما أُتيت من خبرة ودراية لا تخلو من ثغرات وأهواء شخصية مع ضعف الشعور الداخلي، أو قد تبتعد عن الفطرة السوية، وعليه ينبغي زيادة الاهتمام والاستفادة من الأساليب التربوية الواردة في السنة النبوية الشريفة، ومحاولة فهمها واستساغتها ومن ثم استنباط الدروس والعبر منها وتطبيقها في العملية التربوية.

ولابد من الإشارة إلى أن التطبيق العملي للأساليب النبوية في التربية يعتمد بشكل كبير على خبرة المدرس في انتقاء الأسلوب الأمثل وحسب الموقف التعليمي مما يلائم الحالة ويتواءم معها، وعلى المربي معاملة الطلبة بشكل واقعي، ومعرفة أحوالهم ونفسياتهم فالطبيعة الإنسانية متأثرة بعوارض الجهل والغفلة والنسيان وغيرها من الأمور التي تعتري البشر، فعن أنس (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: « **كُلّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ وخيرُ الخطّائين التوابون**» [(١)]. مع الأخذ بنظر الاعتبار مراعاة الفروق

(١) سنن الترمذي؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت:٢٧٩هـ). تحقيق: بشار عوّاد معروف، (د. ط)، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨م رقم الحديث (٢٤٩٩)، ٤: ٢٤٠. وقال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي بن مَسعَدةَ عن قتادة". وقال الألباني: "حديث حسن".

الشخصية في تصحيح الأخطاء ومعالجة الإشكالات. ولمعرفة طبيعة هذا الإنسان وكيفية التعامل معه تحتاج التربية إلى أسس قوية ثابتة تبين لها حقيقة هذا المخلوق قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ**﴾(١).

لذا تسعى التربية في الإسلام ومن خلال مصادره الأصيلة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى بناء هذا الإنسان بصورة شاملة ومتكاملة ومتوازنة " فعلى المدرس إدراك هذا الهدف، والعمل على إثارة دوافع المتعلمين وتحفيزهم، وتشويقهم بكل الوسائل والأساليب المتاحة والمشروعة لأجل ذلك" (٢). من هنا جاءت فكرة كتابة هذا البحث ليدرس ظاهرة العتاب في السنة النبوية وإمكانية توظيفها في العملية التربوية ووقع الاختيار على هذا الموضوع.

أولاً: اشكالية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع: من خلال تتبع الأساليب التربوية في التربية الإسلامية والتربية الحديثة لم يجد الباحث استخدام أسلوب العتاب في العملية التربوية بهذا الشكل، من قبل باحثين آخرين ما جعل إمكانية توظيفه ودراسته أمراً ليس بالسهل، لذا حاول الباحث فهمها ودراستها.

وقد تركزت اشكالية البحث على التساؤل التالي:

" **كيف كان العتاب النبوي الشريف؟، وكيف يمكن استخدامه وتوظيفه في العملية التربية؟**"

وتم تفكيك هذه الاشكالية إلى تساؤلات فرعية ومنها:

١- كيف كان العتاب النبوي الشريف من خلال الأحاديث الشريفة والسنة النبوية المطهرة؟

٢- كيف يمكن استخدام وتوظيف العتاب في العملية التربوية؟

ثانياً: أهداف الدراسة: يهدف هذا البحث إلى:

١- التعرف على أساليب العتاب في السنة النبوية الشريفة.

٢- توظيف أساليب العتاب النبوي في العمل التربوي.

٣- التعرف على جملة من الأحاديث الشريفة والمواقف التربوية في حياة الرسول (ﷺ) المتعلقة بالموضوع.

ثالثاً: أهمية الدراسة: تأتي أهمية الموضوع من أهمية الظاهرة التي تتناولها خاصةً إذا تعلق الموضوع بالتربية والتعليم، وتكمن الأهمية العلمية لهذه الدراسة في أنها تحاول:

١- أضافة دراسة جديدة لمكتبة الدراسات والبحوث حول السنة النبوية الشريفة.

٢- توفير إجابات كافية وشافية حول امكانية استخدام أساليب العتاب النبوية في العملية التربوية.

---

(١) سورة الملك: الآية ١٤.

(٢) طرائق تدريس التربية الإسلامية. صالح حميد العلي، (د. ط). منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٤م=١٤٣٥هـ .ص٢١٥.

٣- محاولة ربط واقع وأساليب العملية التربوية المرغوب بها بالماضي المجيد للسيرة النبوية.

٤- يمكن أن تكون هذه الدراسة مشروعاً تربوياً ناجحاً.

أما الأهمية العملية لهذه الدراسة فيمكن تلخيصها بما يأتي:

١- جمع واستقراء الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالموضوع.

٢- توظيف العتاب النبوي الشريف في مجال التربية والتعليم.

٣- إمكانية جعل الدراسة ورقة عمل للتربويين.

رابعاً: حدود الدراسة: تناول الدراسة مجموعة من الأحاديث النبوية ذات العلاقة بموضوع الدراسة، واستنباط أسلوب العتاب منها، وعرض نماذج تطبيقية لها.

خامساً: منهج الدراسة: اتبع الباحث الأسلوب الاستنباطي في فهم دلالات ومعاني الأحاديث النبوية الشريفة لاستنباط أسلوب العتاب، وكذلك كتب التراث الإسلامي، مع إمكانية توظيف هذا الأسلوب في العملية التربوية.

ساساً: مصطلح الدراسة: تتناول الدراسة مفهوم العتاب في اللغة والاصطلاح:

١ـ العتاب لغةً: العتب والمعاتبة والعِتاب كل ذلك مخاطبة المدلَّين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم ومذاكرة بعضهم بعضاً ما كرهوه مما كَسبَهم الموجدة"[(١)]. إِنَّمَا العَتْبُ والعُتْبَانُ: لَوْمُكَ الرَّجلَ عَلَى إِسَاءَةٍ كَانَتْ لَهُ إِلَيْكَ فاسْتَعْتَبْتَه مِنْهَا، وكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظَيْنِ يَخْلُص للعَاتِب، فإِذَا اشْتَرَكَا فِي ذَلِك وذَكَّر كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَه مَا فَرَط مِنْهُ إِلَيْه من الإِسَاءَةِ فَهُوَ العِتَابُ والمُعَاتَبَةُ[(٢)].

– وأعتبني، أي ترك ما كنت أجِد عليه ورجع إلى مرضاتي، والاسم: العُتْبَى. تقول: لك العُتبى. والتّعاتبُ إذا وصفا موجِدَتها، وكذلك المعاتبة إذا لامك واستزادك [(٣)].

– واستعتب طلب أن يرضى عنه، والمعتب المرضي. "يستعتب"، أي يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا. "لا يعاتبون" في أنفسهم، يعني لعظم ذنوبهم وإصرارهم عليها وإنما يعاتب من يرجى عنده العتبى أي الرجوع عن الذنب [(٤)]. (والعِتْبُ بالكَسْرِ المُعَاتِبُ): صَاحبَه أَوْ صَدِيقَه كَثِيراً فِي كُلِّ شَيْءٍ إِشْفَاقاً عَلَيْهِ ونَصِيحَةً لَه. والأُعْتُوبَةُ بالضّم: مَا تُعُوتِبَ بِه. يُقَالُ: بَيْنَهُم أُعْتُوبَةٌ يَتَعَاتَبُونَ بِهَا، وذَلِكَ

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت:٣٧٠هـ)، حقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث– بيروت،٢٠٠١م. ٢: ١٦٥.

(٢) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأفريقي ابن منظور (ت:٧١١هـ)، ط٣، دار صادر–بيروت، ١٤١٤هـ ، ١: ٥٧٧.

(٣) العين، الفراهيدي الخليل بن أحمد(ت:١٧١)، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، ٢٠٠٣م= ١٤٢٤هـ ، ٢: ٧٦.

(٤) مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار، محمد طاهر الصديقي الفتني، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيد آباد– الهند، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م، ٣: ٥١١.

إِذَا تَعَاتَبُوا أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُم العِتَابُ. والمُعَاتَبَةُ: التَّأْدِيبُ والتَّرْوِيضُ. ومِنْهُ الحَدِيثُ (عَاتِبُوا الخَيْلَ فإِنَّهَا تُعْتِبُ) أَي أَدِّبُوهَا وَرَوِّضُوهَا لِلْحَرْبِ والرُّكُوب، فإِنَّهَا تَتَأَدَّبُ وتَقْبَلُ يُوضَع مَوْضِعَ الإِعْتَابِ، وَهُوَ الرُّجُوعُ عَنِ الإِسَاءَة إِلَى مَا يُرْضِي العَاتِبَ [١].

يتبين مما تقدم أن مفهوم العتاب هو مخاطبة الاحباب ومذاكرة ما يجد الإنسان في نفسه تجاه غيره وذلك لقيامه بعمل يبغضه، أو عدم القيام بالأمر المطلوب منه، فيحدث العَتب لدى العاتب فيقوم المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب.

٢ـ العتاب اصطلاحاً: هو: فن دقيق يحمل دلالات لا تختلف عن دلالته اللغوية، فقد جاء لمذاكرة الموجدة، ومخاطبة الأحباب والمدللين، والرجوع عن القيام بالفعل أو للحث على القيام به الذي جاء العتاب لأجله، فضلاً عن ذلك يحمل دلالة التأديب والترويض، والتنبيه والتذكير، ومن أروع صور العتاب ما جاء في القرآن الكريم.[٢]

والعتاب: أخف أنواع إظهار عدم الارتياح لسلوكٍ ما فعلاً أو تركاً وقد يستعمل لدلالةِ عليه أسلوب الاستفهام للتخفيف من توجيهه، والتّلطفِ بنفس الموجه له [٣].

سابعاً: الدراسات السابقة: قام الباحث بمراجعة الأدبيات والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، من خلال الاطلاع على المصادر وزيارة المكتبات، والمواقع الإلكترونية، لم يجد الباحث بحثاً، أو دراسةً بشكل متخصص توظف هذا الأسلوب في العملية التربوية سوى دراسة واحدة قريبة، مع ندرة ما كتب وبشكل متفرق في بطون المصادر والمراجع مع إشارات هنا وهناك من قبل بعض الدراسين، خصوصاً في الحقل الأدبي وأنه جاء على حد اطلاع ومعرفة الباحث جديداً في عرضه، لذا يمكن القول إنه سيكون بكراً في موضوعه، ومن هذه الدراسات التي تناولت الموضوع :

١. دراسة عويد بن عياد المطرفي: تناولت الدراسة آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، ووضح الباحث أنواع آيات العتاب بناء على دلالة الآية، بالرجوع إلى كتب التفسير ومواطن العتاب فيه، وهدفت الدراسة الرد على ما قيل في آيات عتاب المصطفي – عليه الصلاة والسلام– من القصص التي لا تصح، والشبهة التي أخذت من الإسرائيليات، وتوصل البحث إلى عدة نتائج منها:

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، اعتنى به د. عبدالمنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت،٢٠٠٧م، ٣: ٣٠٩.

(٢) ١٤. الدلالة السياقية للعتاب في القرآن الكريم، الاء هاشم، ومرفت كاظم، مجلة كلية التربية للبنات، مجلد٢٩، عدد٢،٢٠١٨م. ص٢٢٣٨.

(٣) البلاغة العربية، عبدالرحمن بن حسن حنبكة الميداني الدمشقي، ط١، دار القلم– دمشق، الدار الشامية بيروت ، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م. ، ١: ٢٨٠.

أ. اتفق جمهور العلماء على عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وبعدها من الكفر إجماعاً، وأنهم معصومون من جميع الكبائر بعد النبوة، وما يخل بالمروءة من صغائرها بعدها

ب . يقسم العتاب إلى ثلاثة أنواع: عتاب التوجيه، وعتاب التنبيه، وعتاب التحذير وحسب مفهوم آيات العتاب [١].

٢- دراسة صلاح عبد الفتاح الخالدي الهدف من الدراسة، هو الحاجة إلى إفراد آيات العتاب بكتاب خاص لمعرفة الصحيح من المواقف في تفسير هذه الآيات عند السلف الصالح رحمهم الله تعالى، وكذلك تحليل وتوجيه آيات عتاب المصطفى (ﷺ) والاستدراك على بعض ما صدر عته من أقوال وأفعال وتصرفات، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

أ. اتفق العلماء على عصمته (ﷺ)من الكفر، والراجح عصمته من الصغائر والخطأ.

ب . نزلت بعض آيات العتاب تذكيراً وتوجيهاً له (ﷺ)، وإرشاداً لما هو أولى وليس تخطئة له.

ومعظم الدراسات التي تناولت العتاب تدور في هذا الفلك والموضوع [٢].

٣- دراسة حامد بن عبدالله المحامد: الهدف من الدراسة: التعرف على أسلوب العتاب في التربية الإسلامية وتطبيقاته في الأسرة والمدرسة. رسالة ماجستير.

وذكر أنواع أسلوب العتاب ومنه المحمود ومنه المذموم، وذكر نماذج من العتاب القرآني، وعتاب الله تعالى للرسول – صلى الله عليه وسلم –، وعتاب الله تعالى لأوليائه المؤمنين، والتطبيقات التربوية لأسلوب العتاب في البيت والمدرسة، واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي وذلك بالرجوع للقران الكريم والوقوف على آيات العتاب، والرجوع للسنة النبوية لاستنباط العتاب النبوي منها، والرجوع إلى الفكر الإسلامي، ومن أهم التوصيات والنتائج التي توصل إليها الدراسة:

أ . التعرف على أسلوب العتاب من حيث المفهوم والأنواع والأسباب والميادين.

ب . أن يختار المربون من آباء وأمهات ومعلمين الأسلوب الأفضل في تربية وتعليم أبنائهم حسب طبيعة المتعلمين، واختيار أسلوب العتاب القائم على الآداب الإسلامية والأخلاق الحسنة [٣].

ورغم العنوان الذي يدل على استخدام العتاب في الأسرة والمدرسة إلا أننا وبعد دراسة البحث لم نجد له علاقة مباشرة بالتطبيقات التربوية.

---

١ آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، د.عويد بن عياد المطرفي، ط٣، المكة المكرمة، ١٤٢٦هـ ، وهو في الأصل رسالة ماجستير.

٢ – عتاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ،دمشق دار القلم، ٢٠٠٢م.

٣ – أسلوب العتاب في التربية الإسلامية تطبيقاته في الأسرة والمدرسة" ١٤٣٦هـ ، إعداد حامد بن عبدالله المحمادي، إشراف: د. نايف بن حامد الشريف، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٥هـ – ١٤٣٦هـ .

المبحث الأول : العتاب في التربية النبوية:

تتنوع الأساليب والوسائل التربوية في السنة النبوية، وحسب المواقف والسياقات المختلفة، لتحقيق أهدافها المنشودة حيث " كان الرسول (ﷺ)يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدَّها تثبيتاً للعلم في ذهنه" (١).

ومن هذه الأساليب أسلوب العتاب، فيّم ورد عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ – رضِى اللهُ عَنْهُ – قال: "لَمْ يَكُنِ النبيُّ (ﷺ) سَبَّاباً، وَلا فَحَّاشاً، وَلا لَعَّاناً، كانَ يَقُولُ لأَحَدِنا عِنْدَ المعْتِبةِ" "ما لَهُ؟! تَرِبَ جَبِينُهُ".(٢)

ومن صيغ وأشكال العتاب في التربية النبوية ما يلي:

أولاً: صور العتاب القرآني: جسّد النبي (ﷺ) فقه العتاب من القرآن الكريم، ليوجهه إلى الأمثل والأرفق والأحسن من السياسات والقرارات، عندما يقدمُ النبيُّ(ﷺ) ما يكون على خلاف الأولى.

عن ابنِ عبّاسٍ أنّه قال: لمّا أَسَروا الأُسارى في بدرٍ قال رسول الله لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى في بدر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِأَبي بكرٍ وعُمرَ ما ترونَ في هؤلاءِ الأُسارى فقال أبو بكر يا نبيَّ اللهِ هم بَنو العمِّ والعشيرَةِ أَرى أَنْ تأخُذَ منهم فِديَةً فتكُونَ لنا قوَّةً على الكُفَّارِ فَعَسى الله أن يهديَهم للإسلام فقال رسول الله فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ما ترَى يا ابنَ الخطَّابِ قُلتُ لا والله يا رسولَ الله ما أَرى الّذي رأَى أبو بكرٍ ولَكِنِّي أَرى أنْ تُمَكِّنَّا فَنَضرِبَ أَعناقَهُم فَتُمَكِنَ عليّاً من عَقِيلٍ فَيَضْرِب عُنُقَهُ وتُمَكِّنِّي من فُلان نَسِيباً لِعُمرَ فأَضرِبَ عُنُقَهُ فإنَّ هؤلاءِ أَئمَةُ الكُفرِ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وصَنادِيدُها فَهَوِيَ رَسُولُ الله مَا قالَ أبو بكرٍ ولَم يَهْوَ مَا قُلْتُ فَلَمَّا كانَ من الغَدِ جِئتُ فَإِذا رَسُولُ اللهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وأَبُو بكرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيانِ قُلْتُ يا رسولَ اللهِ أَخبِرانِي من أيّ قُلْتُ شَيءٍ تَبْكِي أَنتَ وصاحِبُكَ فإنْ وجَدتُ بُكاءً بَكَيْتُ وإنْ لم أَجد ببُكاءً بَكيْتُ تَبَاكيْتُ لِبُكائِكُما فقال رسول الله (ﷺ) أَبكِي للَّذي عَرَضَ عَلَيَّ أَصحابُكَ مِن أَخذِهم الفِداءَ لقَد عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابَهُم أَدنى مِن هذهِ الشَّجرةِ شَجَرةٍ قرِيْبَةٍ من نَبيّ الله (ﷺ) (٣). وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**

---

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعلم، عبد الفتاح أبو غدة، ط٤، مكتبة المطبوعات الإسلامية،– بيروت، ٢٠٠٨م=١٤١٧هـ . ص ٦٣.

(٢) صحيح البخاري. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الغيرة برْدُزْبَه الجعْفي (ت٢٥٦هـ):– خرّج أحاديثه: محمود محمد محمود نصّار، ط٦، دار الكتب العلمية– بيروت، ٢٠٠٩م=١٤٣٠هـ. باب: (لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً)، رقم الحديث: (٦٠٣٠)، ٨: ١٣.

(٣) صحيح مسلم. مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٦١هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.(د. ط)، دار إحياء التراث– بيروت (د. ت). باب: (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر)، رقم الحديث: (١٧٦٣)، ٣: ١٣٨٣.

تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1]. فالنبي (ﷺ) في هذا الموقف آثر السلامة، وهو رأي كثير من أصحابه، وقبول الفدية، عن القتل والتنكيل بهؤلاء الأسرى، وهم صناديد الكفر وأهل الضلال، فعاتبه الله بقوله: ﴿ما كان لنبي﴾ فالخطاب ليس موجهًا مباشرة إلى رسولنا (ﷺ) ولكنَّ المعنى: لا يحق لأي نبي مهما كان أن يكون فى هذا الموقف وعنده أئمة الكفر الذين حاربوه وأخرجوه ومكروا به وأرادوا قتله أن يعفو عنهم.

ثانياً: عتابه (ﷺ) لأصحابه من الأنصار(ﷺ): وعلى هذا المنوال من الأدب الجم والفقه العميق لفن العتاب تعامل النبي (ﷺ) مع أصحابه في المواقف التي تحتاج إلى ذلك، وحرص (ﷺ) أن تكون الصيغ والكلمات معبرة وموحية بالحب والعطف والشفقة على محدثيه؛ لتنفذ هذه النصائح والكلمات الى قلبهم فيتأثرون بها ويعملون بمقتضاها. فمن ذلك ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (ﷺ) قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا [بعد غزوة حنين] فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا؟ قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلًا فَأَسيناك أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ(ﷺ) فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ قَالَ:فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ) وَتَفَرَّقوا[1]. في هذا الموقف المؤثر كان النبي(ﷺ) يستطيع أن يقول: أنا رسول الله؛ ويجب عليكم طاعتي فاسمعوا وأطيعوا، ولكنه (ﷺ) لم يفعل بل هذبهم بعتابه الرقيق الذي ما سمعه أحد من أهل القلوب الرقيقة إلا بكى مع بكاء الأنصار، وفهم العبرة والعظة المستهدفة في جو هادئ لهذا المقام، وهي أنه ترك الأنصار لإيمانهم وتقواهم، وتألف أناسًا سوف يكونون بعد ذلك حماة الإسلام وحصنه.

ومن السمات البارزة للمربي والمعلم الأول(ﷺ) أنَّ الله تعالى بعثه معلماً ومربياً وداعياً إلى الخير، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[2] عن جابر –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله (ﷺ) « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا» [3].

ثالثاً: تصحيح الأخطاء من خلال العتاب: ولقد حرص الرسول (ﷺ) أن تكون الألفاظ والصيغ معبرة وموحية بالحب والعطف والشفقة على محدثه؛ لتنفذ هذه النصائح والكلمات الى قلبه فيتأثر بها ويعمل بمقتضاها. فعن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله (ﷺ) . إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله (ﷺ) : مه مه، قال: قال رسول الله (ﷺ) : «لا تزرموه* دعوه» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله (ﷺ) دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله (ﷺ) ، قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه" [4].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. باب:(مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)، رقم الحديث: (١١٧٣٠)، ١٨: ٢٥٣-٢٥٥. إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا، فانتفت شبهة تدليسه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٣) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي(ت:٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنووط، محمد زهير الشاويش، ط١، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٠٣هـ = ١٩٧٣م. باب: (الخيار)، رقم الحديث: (٢٣٥٤)، ٩: ٢١٦. أخرجه مسلم : كتاب الطلاق،باب:بيان أن تخيير امرأته، رقم :الحديث: (١٤٧٨)، ٢: ١١٠٤.

* لا تزمره: أي لا تقطعوا عليه بوله. مختار الصحاح، الرازي أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الحنفي (٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، ص١٣٦.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، باب: (وجوب غسل البول وغيره من النجاسات)، رقم الحديث: (٢٨٥)، ١: ٢٣٦.

* يُقَال: "كهرت الرجل إذا زبرته واستقبلته بِوَجْه عَابس"، ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة- بيروت، ٢: ٢٨٨.

فالعتاب الرقيق والتعامل بالرفق والرحمة يورث النفس نوعاً من الطمأنينة والهدوء، ويجعل تفهّم المشكلة والتعامل معها أكثر نجاحاً وانجازاً وتحقيقاً للأهداف التربوية بخلاف التوتر والغضب والعصبية، عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله (ﷺ) ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله (ﷺ) ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني* ، ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»(١).

ومن رحمته (ﷺ) بأصحابه أنه إذا بدر من أحدهم سوء تصرف أو وقع في خطأ لا يُعرض باسمه بل يُعاتبه بأسلوب مهذب لطيف ليس فيه تجريح للمشاعر، ولا تنقيص من قدره، بل يقول كما ورد، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " كان النبي (ﷺ) " إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟ "(٢).

ورأى رجلاً يغتسل في مكان فسيح بلا إزار ولا يستتر عن أعين الناس، فعن يعلى، أن رسول الله (ﷺ) رأى رجلا يغتسل بالبراز، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»(٣).

وعلى هذا المنوال من الأدب الرفيع والفقه العميق لفن العتاب تعامل النبي (ﷺ) مع أصحابه فى المواقف التي تحتاج إلى ذلك، وتوجيههم إلى ما هو أصلح وأولى فكان (ﷺ) بذلك يهذب أصحابه ولا يلجئهم إلى الدفاع عن أنفسهم بل يلفت انتباههم إلى العبرة والعظة من العتاب.

رابعاً: استعمال أسلوب العتاب في تصحيح المفاهيم: أن النبي (ﷺ) استعمل عاملا على الصدقة، فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله، هذا الذي لكم، وهذا أهدي لي؟ فقال النبي (ﷺ): «فهلا قعدت في بيت أبيك وأمك، فنظرت أيهدى لك أم لا»، ثم قام النبي (ﷺ) عشية بعد الصلاة على المنبر، فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: " أما بعد، فما بال العامل نستعمله، فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أهدي لي، فهلا قعد في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى

---

(١) المصدر نفسه، باب: (تحريم الكلام في الصلاة)، رقم الحديث: (٢٨٥)، ١: ٣٨١.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت (د.ت)، باب: (في حسن العشرة)، رقم الحديث: (٤٧٨٨) ٤: ٢٥٠. صححه الألباني في : صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم : (٤٦٩٢).

(٣) سنن النسائي الصغرى، باب: (الاستتار عند الاغتسال)، رقم الحديث: (٤٠١)، ١: ٢٠٠. صححه الألباني في: صحيح وضعيف النسائي، رقم: (٤٠٦).

له أم لا؟[١]. وغيرها من المواقف التي تدل على أن النبي (ﷺ) لا يُعَرِّضُ باسم أحد من صحابته بل يقول : (ما بال أقوام يفعلون كذا) ، (إذا فعل أحدكم كذا) يعاتبهم بأسلوب مهذب رقيق من شيمته جبر الخواطر ليس فيه تجريح للمشاعر ولا غض من قيمة الشخص الذي اقترف الخطأ، فكان (ﷺ) مثالا حيًا للصحابة فى فقه التعامل مع الناس؛ عن أنسِ بنِ مالك: أن رجلاً دَخَلَ على رسولِ الله (ﷺ) وعليه أثرُ صُفْرةٍ، وكان النبيُّ (ﷺ) قلَّما يُواجِه رجلاً في وجهه بشيءٍ يكرهُه، فلما خَرَجَ، قال: « لَوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَغْسِلَ ذَا عَنْهُ » [٢].

فتصل الفكرة، ويُصحح الخطأ دون جرح المشاعر أو أذية الآخرين، أو التشهير بالمخطئ، ويُعَدُّ هذا من قمة فقه العتاب وفنه بمكان لا يصل إليه إلا من تأدب بآداب القرآن وتعلم من النبي العدنان (ﷺ) .

هذه بعض المواقف من حياته (ﷺ) التى تبرز وتوضح ما للعتاب من قيمة حيوية فى ديننا وشريعتنا، لعلنا نعتبر بها فى عصر الجفاء والغلظة علها أن تُبرِّد أكبادنا وتطفئ نار قلوبنا وتهدئ من روعنا "هذه التربية القرآنية للشخصية المسلمة، رافقتها تربية نبوية ارتقائية راقية لهذه الشخصية فهل ثمة تربية أسمى من تربية إلهية ربانية تنزلت في محكم الكتاب المبين، وفي تطبيقاته على يد النبي الأمين" [٣].

فالرسول (ﷺ) غلب عليه صفة الرحمة والرفق واللين لذا مدحه الباري عزَّ وجل بقوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[٤].

فالصفات العظيمة والتي امتاز بها الرسول (ﷺ) ينبغي للمربين والمعلمين أن يجعلوها منهاجاً لهم ويُترجموها إلى واقع عملي في حياتهم العملية والمهنية وطريقة تعاملهم مع أبنائهم وطلابهم، فقد كان الرسول(ﷺ) يرحب بالراغبين في الإسلام وطالبي العلم ويُقبل عليهم ويستقبلهم بكل حفاوة، ويكرمهم بحيث تنجذب قلوبهم نحو الإسلام ونبيه ويزيد من تعلقهم به ومحبته (ﷺ) ايضاً.

خامساً: عتاب الله تعالى للأنبياء عليهم السلام: تعلم النبي (ﷺ) أيضًا فقه العتاب وفنه من أحاديث ومواقف الأنبياء التي قصها الله تبارك وتعالى عليه، وأعلمه بها فمن ذلك ما رواه أَبِو

---

(١) مسند الدارمي، المعروف ب(سنن الدارمي)، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي التميمي السمرقندي (٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار المغني- الرياض، ١٤١٤هـ = ٢٠٠٠م.، باب: في العامل إذا أصاب من عمله شيئاً، رقم الحديث: (٢٥٣٥)، ٣: ١٦١٩.تعليق المحقق: اسناده صحيح والحديث متفق عليه.

(٢) سنن أبي داود، أبي داود، باب: في الخلوق للرجال، رقم الحديث: (٤١٢٨)، ٦: ٢٥٣.ضعّفه الألباني في: صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم: (٤٧٨٩).

(٣) القرآن وعلم النفس (الشخصية المسلمة حسب المنهاج القرآني)، د. عبدالعلي الجسماني،ط٤، الدار العربية للعلوم- بيروت،١٤٢١هـ =٢٠٠٠م، ص٢٥٣.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

هُرَيْرَةَ (ﷺ) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ ببيتها فأحرِق بالنّار فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً»(١). هذا محمولٌ على أنَّ شرْع ذلك النبيِّ (ﷺ) كان فيه جَواز قتْل النَّمل، والإحراقِ بالنار؛ إذ لم يعاتَب إلا على الزِّيادة على نملةٍ، وأما في شَرْعنا فلا يجوز إحراق الحيوان نملًا وقَملًا وغيرهما(٢).

في هذا الموقف عاتب الله تبارك وتعالى هذا النبي (عليه السلام) لأنّه زاد في القتل والإحراق في أُمةِ النمل علماً أنّه لُدغ من واحدة فقط، فاستدعى الله تعالى انتباهه بقوله: (فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً) فكان العتاب على الزيادة بعبارة لطيفة موجهة لما هو أرفق بهذا النبي (عليه السلام).

سادساً : ترك العتاب واللجوء إلى المصارحة : إذا تخطى الأمر الحدود، وتعدى الحرمات فهنا يقف النبي (ﷺ) زاجرًا أمرًا ناهيًا بشدة، ولا مجال للعتاب فى هذه اللحظة إلا الزجر والهجر، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) «أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِزَيْنَبَ أَعْطِيهَا بَعِيرًا فَقَالَتْ أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ»(٣). وما قاله (ﷺ) لأسامة بن زيد بن حارثة حين أراد أن يشفع فى المرأة المخزومية التى سرقت ويريد أسامة أن لا تقطع يدها فغضب صلى الله عليه وسلم من الحِب ابن الحِب وقال له بلهجة شديدة: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فقَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(٤). في هذا الموقف استخدم الرسول (ﷺ) ، أسلوب الشدة والتوجه المباشر، وعدم الرضا عما بدر من أخطاء. وكان (ﷺ) رفيقاً بأصحابه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ » (٥). وعلينا أن نتعلم من النبي (ﷺ) الأساليب اللطيفة في العتاب والمحاورة الرقيقة التي تجعل المعاتَب لا يخرج عن حب معاتبه، ولا يجنح إلى الإعراض عنه بل يسمع ويطيع لأن معاتبه لا يبغي إلا صلاحه وكماله سواء فى الفعل أو القول.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم، رقم الحديث: (٣٣١٩)، ٤: ١٣٠.

(٢) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، محمد بن عبدالله بن موسى شمس الدين البرماوي (ت:٨٣١هـ) تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين، بإشراف نور الدين طالب، ط١، دار النوادر١٤٣٣هـ =٢٠١٢م. باب: خمس من الدواب فواسق، ٩: ٣٩٢.

(٣) سنن أبي داود، أبي داود، باب: ترك السلام على أهل الأهواء، رقم الحديث: (٤٦٠٢)، ٧: ١١. ضعّفه الألباني في: صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم: (٤٦٠٢).

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، باب: ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، رقم الحديث: (١٤٣٠)، ٤: ٣٧. متفق عليه، أخرجه البخاري في باب: حديث الغار، رقم: (٣٤٧٥)، ومسلم باب: قطع يد السارق الشريف وغيره، رقم: (١٦٨٨).

(٥) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المُتقي الهندي علاء الدين علي بن حُسام الشاذلي البرهانفوري (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، ط٥، مؤسسة الرسالة، هـ =١٩٨١م. ٩: ٣٦٠. حسّنه الألباني في: صحصح الجامع الصغير وزياداته رقم الحديث: (٢٣٤٦).

فسيرة الرسول (ﷺ) غنيةٌ بالأساليب التربوية والتعليمية فكان "يُلوِّن الحديث لأصحابه ألواناً كثيرةً، فكان تارةً يكونُ سائلاً، وتارةً يكون مجيباً، وتارةً يجيب السائل بقدر سؤاله، وتارةً يزيد على ما سأل، وتارةً يضرب المثل لما يُريد تعليمه، وتارةً يصحب كلامه بالقسم بالله تعالى، وتارةً يلفت السائل عن سؤاله لحكمة بالغة منه (ﷺ)، وتارةً يعلم بطريقة الكتابة، وتارةً بطريق الرسم، وتارةً بطريق التشبيه، أو التصريح، وتارةً بطريقة الابهام أو التلويح"(١). لتكون لنا طريقةً ومناهجاً في التعامل مع أبنائنا وطلابنا، وبقية أصناف المجتمع.

المبحث الثاني : أسلوب العتاب وتوظيفه في العملية التربوية :

لا شك في إنَّ أساليب التربية وطرق معالجة الأخطاء والمشاكل الحياتية والصفية عديدة، وصيغ التفاهم متنوعة، والعتاب فن من فنون الخطابة لذا وجب تعلمها واتقانها للمربين والمعلمين، ويحبذ أن يسبق العتاب استخدام الألفاظ المهذبة والجميلة مع شيء من الإرشاد والتوجيه، وغيرها من أساليب وطرق التربية.

ويُفضل للمربي عند دخوله قاعة الدرس أن يستهله بحمد الله تعالى والصلاة على النبي (ﷺ) ، مع التذكير ببعض الآداب والقيم الإسلامية الفاضلة وأخض بالذكر منهم مدرسي التربية الإسلامية، و تهيئة الأرضية الخصبة للتمهيد للمحاضرة، ومراعاة الوقت وتقديم المعلومة باختصار دون تطويل وإطناب مملٍ خصوصاً الدروس المستفادة من القرآن الكريم والسيرة النبوية، كي تقدم المعلومة بصورة سهلةٍ وسلسةٍ، ويستقبله المربي برحابة صدرٍ دون ضغط، وبذلك نتجنب الكثير من المسائل التي تعيق التعليم وايصال المعلومة إلى الطالب، والحاجة إلى استعمال أساليب ووسائل تربوية تناسب الحالة وربما لا نوفق إليها بشكل كبير.

لذا سلك المربون والمعلمون طرق عديدة وأساليب شتى لتحقيق مرادهم من تربية الناشئة، ومن هذه الأساليب أسلوب العتاب والتوجيه غير المباشر، فربما كان التعريض، والتلويح أفضل من التصريح والتوجيه المباشر، فالعتاب والمعاتبة من الوسائل التي تبقي المودة وتشعر بالرحمة وبالقرب، والقرآن الكريم أكد على هذا الأسلوب، قال تعالى: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ (٢). وهذا الشكل من العتاب فيه نوع من التوجيه الممزوج بالود هذا ما أظهرته الآية الكريمة، "هو من ألطف العتاب {لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ} في التخلف عن الجهاد؟ من هذه الآية نعلم مكانة الرسول (ﷺ) عليه عند ربه، وعلوّ قدره، وسمو منزلته؛ فقد بشره مولاه جل شأنه بالعفو قبل أن يخبره بالذنب؛ ولأنه لو قال له معاتباً: لم أذنت لهم؟ لخيف عليه أن ينشق قلبه حزناً وكمداً"(٣).

---

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، أبو غُدة، ص٦٣-٦٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٣.

(٣) أوضح التفاسير، محمد عبداللطيف بن الخطيب، ط٦، المطبعة المصرية، ١٣٨١٣٨٣هـ=١٩٦٤م. ، ١: ٢٢٩.

ويُستحب أن يبدأ الموجه عتابه بذكر بعض الصفات الحسنة للمُعاتب ليكون أكثر تقبلًا وتجاوبًا، "وكذلك الوالد يمكنه توجيه ولده إلى السلوك الحسن عن طريق العتاب، وهي من الوسائل الفعّالة في التربية والتأديب إذا لم يستحسن سلوك ولده ولم يرتضي تصرفه، فالولد يحب رضا والده ويرغب بالحصول على استحسانه، لذا يُخبر بالسلوك الحسن من عدمه، فلهذا التصرف أثراً كبيراً على صياغة سلوك وتصرفات الأولاد في الحياة" [(١)]. فعلى المربي أن يزيل عقبات التواصل بينه وبين طلبته لإنجاح عملية التربية والتعليم هذا ما اعتمده النبي (ﷺ) أسلوباً مع أصحابه، وكذلك تواضعه (ﷺ) ، فقد كان يسلم على الصبيان ويُمرر يده الشريفة على رؤوسهم ويكلمهم ويلاعبهم فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: « عَقَلْتُ مِنْ النَّبِيِّ (ﷺ) مَجَّةً[(*)]، مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ»[(٢)]، يذكر هذا الصحابي الجليل هذا الموقف مع النبي (ﷺ) ولا ينساه وهو كيف دفع الماء من فمه الطاهرة في اتجاهه يداعبه بها وهو صغير لم يتجاوز الخمس سنين، يتبين لنا من هذه الحادثة مدى محبة النبي (ﷺ) وتعلقه بالأطفال يداعبهم ويُدخل الفرح والسرور إلى قلوبهم وهذه رسالة عظيمة للمربين والمصلحين للاقتداء به (ﷺ).

أولاً: آداب العتاب: حبذا قبل العتاب أن نستفسر عن أسباب حمل المربي على الخطأ لعل له عذراً في ذلك التصرف، وأن يخرج العتاب بشيء من الدعابة مع اختيار الفاظ لا يستفز المعاتب فتخرج الأمور عن مقاصدها واحترام مشاعر الأشخاص الموجه إليهم الكلام، كذلك ذكر بعض جوانب الإيجابية لديهم لأنَّ المدح على قليل من الصواب يدفع صاحبه إلى الاستجابة الصحيحة والاستزادة من الفعل المقبول، ومن هذه الآداب:

١- **عدم الإكثار منه:** فإنَّ كثرة العتاب تؤدي إلى البغضاء والجفاء والحقد، فالعتاب ينبغي أن يكون في أضيق الدوائر، وأن يكون بقدرٍ معقولٍ؛ حتى لا يحصل عكس مراده، كما قال عليٌّ (ﷺ): «لا تكثر العتاب؛ فإنَّ العتاب يورث الضَّغينة والبغضة، وكثرته من سوء الأدب»[(٣)]. وقال بعض الحكماء البلغاء: "مَثل العتاب مَثل الدواء، يشفى بمكانه مرض الصدور، فإذا استعمل لغير علةٍ عارضة، وبلا حاجة ظاهرة تحوّل داء المحبة دوياً، وصار موتاً بيد القطيعة"[(٤)].

---

(١) أولادنا من الطفولة إلى الشباب، د. مأمون مبيض، ط٤، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص٣١٠، بتصرف.

(*) "مجَ الماءَ يمجهُ مجاً إذا مجه من فِيهِ بمرّة واحدة أي أخرجه " جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١،دار الملاين: بيروت، ١٩٧٨م، ١: ٩٢.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، باب: متى يصح سماع الصغير؟، رقم الحديث:(٧٧)، ١: ٣٦.

(٣) مواعظ الصحابة، د. عمر المقبل،ط١، دار المنهاج- الرياض، ١٤٣٥هـ. ص١٤٦.

(٤) اللطائف والظرائف، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت:٤٢٩هـ)، دار المناهل- بيروت، ص١٥٥.

قال بشار في تقليل العتاب:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وإن أنت لم تشرب مِراراً على القذى ظمِئت وأيُّ الناس راقت مشاربه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنّه مقارف ذنب مرةً ومجانبه(١).

عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله (ﷺ) الْمَدِينَةَ أَخَذَ أَبُوطَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أَنَسًا غُلاَمٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ, قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ والْحَضَرِ ، فَوَالله مَا قَالَ لِي النبي (ﷺ) لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟، وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟ (٢).

٢- عدم استخدامه في كل المناسبات، وأدنى الأسباب، قال ابن المعتز: "لا تعاتب صديقك لأدنى سبب، وأخفى شيء يتعلق الظن، فإنَّ ذلك يدل على ضعف ثقتك به، ووهن مودتك له"(٣).

وسوء استعمال العتاب في أتفه الأمور والمسائل والتفاصيل الدقيقة فإنّ مأل هذا الأمر يكون كما قال: الشاعر سابق البربري:

إذا ما كنت طالِب كُلَّ ذنبٍ ولم تُحّلِل أخاك من العتاب

تَباعد منْ تَعاتب بعد قرب وصار بك الزمان إلى اجتناب (٤).

وصدق الشاعر علي بن الجهم بقوله:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى بالمرء نُبلاً أن تُعدَّ معايبه (٥).

فالكمال لله وحده، فالمرء مهما كانت صفاته وسجاياه محمودة إلا أنه لا يخلو من عيوب وأخطاء، وهذه صفات الإنسان بصورة عامة، لذا يحاول المربي الوصول إلى الأفضل والأحسن من الاستجابات قدر الإمكان، مع اختيار وقت الهدوء، وكون اللحظة جميلة وليست متشنجة.

٣- أن يكون القصد من العتاب مقصداً شريفاً، لأجل النصح والتوجيه، وليس لتتبع الزلات والسقطات، وأن نعاتب من يُرجى تركه الذنب، وعدم العود إليه، وإن كان من أقرب الناس، قال الأصمعي: عاتب أعرابي ابنه في شرب الخمر فلم يعتب وقال:

أمن شربة من ماء كرم شربتها غضبت عليّ ! الآن طاب لي الخمر

---

(١) ديوان الصبابة، ابن أبي حجلَة شهاب الدين أحمد المغربي، دار مكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٤م، ص١٦٤.
أدب الدنيا والدين، أبو الحسين علي بن محمد البصري البغدادي المشهور بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة،١٩٨٦م. ١: ١٧٨.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، رقم الحديث(٢٧٦٨)، ٤: ١١.

(٣) اللطائف والطرائف، أبو منصور الثعالبي، ص١٥٥.

(٤) شعر سابق بن عبدالله البربري، تحقيق: د. بدر ضيف، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر- الاسكندرية، ٢٠٠٤م، ص١٠٤.

(٥) ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مراد، ط٢، وزارة المعارف- السعودية،١٤٠٠هـ =١٩٨٠م،ص١١٨.

سأشرب فاغضب لا رضيت، كلاهما إليّ لذيذ أن أعقّك والسّكر[١].

فأسلوب التهكم والزجر العنيف وإطلاق مسمى الفشل على المخاطب والمعاتب ربما تكون نتائجه عكسية على خلاف التوقع، وعليه إعطائه أكثر من فرصة، ومساحةٍ من الوقت وإشعاره بأنّ له مكانة وقدراً ليُفكر في حاله ويرجع عن غيّه، ويصحح خطأه بنفسه.

٤- ملائمة العتاب لمستوى المعاتب، فعلى المُعاتِب أخذ مستوى وظرف المعاتب، من الناحية العمرية والفكرية، فلا يعاتب الطفل الصغير كما يعاتب البالغ، ولا يعاتب الجاهل مثل العارف والمتعمد، وهل ينفع العتاب أم لا، ومن أمثالهم في ترك العتاب قولهم:

وليس عتاب الناس للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه [٢].

أن يكون العتاب يسيرا ويناسب عقلية من نعاتب، قال رسول الله (ﷺ) : عاتبوا أرقاءكم على قدر عقولهم"[٣] لذا لا نعاتب أحداً بأكثر من عقله وفهمه فإنَّ ذلك يُعد ظلماً وتجنياً عليه.

٥- ومن الخطأ تكرار العتاب في ذات الموضوع؛ لأنه قد يثير في نفس من تعاتبه روح التحدّي، فيستمر على خطئه، مما يفقد العتاب تأثيره، ووقعه على نفسية المُعَاتِب، وأن لا يكون على مسألة قديمة، حصلت في وقت مضى وطوتها النسيان، ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ [٤].

لأنَّ كثرة العتاب وتكراره يُفسد الود، ويُقلل من الهيبة، ويُفقد الكلام وزنه وتأثيره يقول: علي بن محمد البسامي:

أعاتب اخواني وأبقي عليهم ولست لهم بعد العتاب بقاطع
واغفر ذنب المرء إن زلَّ زلةً إذا ما أتاها كارهاً غير طائع
وأجزع من لوم الحليم وعذله وما أنا من جهل الجهول بجازع [٥].

ولكي تكون التربية مثمرة لابد أن ننحو فيه الناحية العملية أكثر من الناحية الإخبارية، ونوجه الناشئة نحو تربية صحيحة أسسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأن في مصادر التشريع ثروة روحية عظيمة لذا ينبغي على المربي توظيفها في العملية التربوية ليستشعر الطالب عظمة الإسلام ويكون على قدر المسؤولية المناطة له.

---

(١) عيون الأخبار، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ. ٣: ١٠٦.

(٢) الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبدالله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. عبدالمجيد قطامش، (د. ط)١٤٠٠-١٤٠١هـ = ١٩٨٠م. ،ص١٨٣.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جارالله الزمخشري (ت: ٥٨٣هـ)، ط، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢هـ. ، ٣: ٣٥٠.

(٤) المائدة: ٩٥.

(٥)مجمع الحِكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش بن محمد نجيب، ط٣، دار الرشيد، ط٣، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.، ص٣١٤.

ثانياً: لغة العتاب:

تعد العملية التربوية من الأمور المهمة في الحياة البشرية، فعلى المربي أن يكون لبقاً في معاتبته، وأن يتحدث بهدوء ودون صراخ، أو انفعال، وإلا خرج الأمر عن السيطرة، ولا يكون العتاب بلهجة قاسية حتى لا يشعر الطرف الآخر بأنك تلومه.، وقد أجمل بهاء الدين زهير بقوله:

عَتَبْتُم فَلم نَعْلَم لطيبِ حَديْثَكُم أذَلك عَتَبٌ أمْ رِضّى وتَوَدّد[١].

حيث تختلف الأساليب التربوية المستخدمة في تعديل السلوك عند كل مربٍ وآخر بحسب ثقافته وإدراكه لأهمية التنشئة الصحيحة على وفق ما يستوجبه الموقف التربوي فكل أسلوب له نتائجه على المدى القريب والبعيد منها مؤقتة ومنها طويلة الأمد. وقبل الابتداء بالعتاب يُستحب أن نذكر بعض إيجابيات من نعاتب، ليكون أكثر تأثيراً عليه، ووقعاً في نفسه، وأدعى إلى القبول والتجاوب، **ومن لغة العتاب:**

١- استخدام لغة العيون في العتاب؛ لأنَّ عين الإنسان كثيراً ما تكشف عن مكنونات النفس، وإن حاول صاحبها أن يخفي مشاعره وانفعالاته "وأكثر مناطق الوجه تعبيراً هي منطقة العينين، فالعينان من الأدوات الاستراتيجية في نقل الرسائل والمعاني غير اللفظية"[٢] فلغة الجسد تلعب دوراً مهما في التفاعل بين المدرس وطلابه باعتباره لغةً غير لفظية، لذا قد يكون لغة العيون والصمت أكثر قوةً في التعبير من الكلام واللفظ الصريح، قال الشاعر:

إذا رأيت انحرافاً من أخي ثقةً ضاقت عليّ برحب الأرض أوطاني
فإن صددت بوجهي كي أكافئه فالعين غضبى وقلبي غير غضبان[٣].

٢- استخدام الكتابة في العتاب، فعتاب الكتاب أقرب للقبول من المصارحة بعض الأحيان، وأدعى للتفكر والرجوع عن الخطأ، قال الشاعر:

اياك والتعنيفا والعذل العنيفا وان ترد عتابهم فلا تسيء خطابهم
وأحسن العتاب ما كان في خطاب والعتب بالمشافهة ضرب من المسافهة[٤].

والعتاب منهج تربوي يحتاج إلى نفس عميق وطول صبر، ومفعوله مؤكد، إذا ما أحسن المربي استعماله في الوقت المناسب والظرف المطلوب، ويكون عوضاً عن العنف، وبأسوب تربوي لطيف رقيق، وعلى نقيض ذلك يكون العتاب من الخطورة بمكان إن لم يستخدم على الوجه الأمثل، ويوضع في موضعه اللائق به.

---

(١) ديوان بهاءالدين زهير، دار صادر- بيروت،١٣٨٣هـ =١٩٨٦م، ص١٠٤.

(٢) مهارات الاتصال مع الآخرين، د. حسين جلوب، ط١، دار كنوز المعرفة- عمّان،٢٠١٠، ص١٦.

(٣) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ات: ٣٢٨هـ)، ط٤، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٤هـ ٢: ٢٢٩.

(٤) ديوان ابن مُشرَف السني، ط٤، مؤسسة دار الفلاح، الإحساء: الهفوف. (د.ت).ص١٠٨.

ثالثاً: فوائد العتاب:

إنَّ عملية التربية والتعليم ليست عملية استعراضية يستعرض فيها المربي، معلوماته إنما هي صياغة متكاملة تحتاج في أولها إلى الأسس والمبادئ التي تصح بها النهايات وتكتمل. والعتاب أسلوب من أساليب التربية، ربما يلجأ المربي إلى استعماله إذا دعت الحاجة إليه، فينبغي أن تكون العلاقة بين المدرس وطلابه مبنية على الحب والاحترام، مع الابتعاد عن سلوك وتصرفات لا تليق بالمربي، وربما تنعكس سلبياً على سلوك الطلاب مما يؤدي إلى عدم تجاوبهم وتعاونهم معه، ويترتب على ذلك التصرف آثار سلبية على العملية التعليمية، مما يدفع القائمين على التربية إلى اتخاذ إجراءات صارمةٍ تؤدي إلى قطع المودة بين المربي وطلابه وتؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباه، فالعتاب مرحلة سابقة لاتخاذ هذه الخطوات والإجراءات.

ومن فوائده:

١- العتاب يصلح الخطأ، دون جرح المشاعر فإذا اعترف الطالب بخطئه واعتذر منه، فعلى المربي قبول الاعتذار لتعود الأمور إلى وضعها الطبيعي وهنا يحقق الهدف من العتاب وهو لفت نظره للخطأ فلا داعي لتذكره في مناسبات أخرى، قال عمرو بن العاص – رضي الله عنه – : " أعقل الناس أعذرهم لهم" [(١)] فالعتاب يصفي القلوب ويزيل عنها البغضاء والشحناء.

٢- العتاب فيه مساحة كبيرة من الحب والاحترام صادرة ممن عاتب لذا وجب إشعار الموجه طلابه بعدم الارتياح مما بدر منهم ومساءلته عن الدافع لذلك. يقول الإمام علي – رضي الله عنه – " عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردُدْ شره بالإنعام عليه"[(٢)]. وقال همام الرقاشي:

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة* وفي العتاب حياة بين أقوام [(٣)].

وفي بعض الأحيان لا يلجأ المربي إلى العتاب إذا رأى أن الطالب المقصر قد رجع إلى الصواب، وجادة الطريق، ففي هذه الحالة يتغافل المربي عن هذه السلوكيات والتصرفات وكأنها لم تحصل، وأجمل ما قيل في ذلك:

وكنت مُعداً للعتاب دفاتر فلما التقينا ما وجدت ولا حرفاً[(٤)].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعبة، محمد بن مفلح المقدسي الراميني ثمّ الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١٤١٩،٣هـ=١٩٩٩م، ١: ١٠٤.

(٢) نهج البلاغة للإمام علي رضي الله عنه، جمع وتحقيق العلامة الشريف الرضي، ط١، دار المعارف- بيروت، ١٤١٠هـ =١٩٩٠م، ص٧١٧.

* الغلغلة: دُخُول الشَّيْء فِي الشَّيْء حَتَّى يخالطه. غلغل فِي الشَّيْء ، وَبِه سميت الرسَالَة مغلغلة لِأَنَّهَا تتغلغل إِلَى الْإِنْسَان حَتَّى تصل إِلَيْهِ على بعد. جمهرة اللغة، ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٨٧م، ١: ٢١٧.

(٣) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: حسن السَّندي، ط ٢، دار إحياء العلوم- بيروت، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م ،٢: ٦٥٤.

(٤)ديوان بشار بن برد، تحقيق: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر،٢٠٠٧م. ١: ٢٤٢.

٣- فيه إدامة واستمرارية للعلاقة الودية بين المربي والطلاب، يقول الثعالبي: قال بعض البلغاء: " العتاب مفتاح الوصال، قاطع للهجر والملال، وإنَّ أفضل العتاب ما غرس العفو والصفح وأثمر المحبة، وعتب يوجب العفو والصفاء، أفضل من ترك يعقب الجفا"(١).

فالعتاب دليل على المودة والمحبة، والإبقاء على العلاقة واستمرارها بكل احترام، قال علي بن الجهم:

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ ويبقى الودُ ما بقي العتاب(٢).

وقد يعاتب الطالب أستاذه أو الولد والده، وبأسلوب مؤدب لطيف، وبكل تواضع حتى لا يشعره أنه يستخف به، مع تقديم الفاظ الاعتذارات إليه ليكون كلامه موضع القبول، وداعياً للتفكر، أو الرجوع عن الموقف، حيث قيل: " عاتب أعرابي أباه فقال: إنَّ عظيم حقك عليّ لا يُذهب صغير حقي عليك، والذي تمت إليّ أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنا سواء، ولكن أقول: لا يحل لك الاعتداء" (٣).

وخلاصة القول أن العلاقة بين البشر بصورة عامة تقوم على الاتفاق والاختلاف، وهذا أمر طبيعي فلكل إنسان قناعاته ووجهة نظر، ومع هذا كله لا يعني أن يتمرد الطالب على معلمه، أو يسيء التصرف معه، والعملية التربوية والتعليمية لا تخلو من مشكلات وأخطاء، وأنَّ سوء فهم بين الأستاذ والطالب وارد ولكن كيفية حل هذه المشكلات والإشكاليات هي موضوع ومدار الدراسة، ومن الأساليب المجدية من وجهة نظر الباحث وقناعته أسلوب وثقافة فن العتاب، والذي ربما يعالج هذه المسائل الضبابية التي تحدث في الموقف التعليمي بأسلوب راقي، في الأمور التي تستحقها، وبالقدر الذي يعيد للمربي هيبته وللدرس استمراره، ودون التطرق إلى أمور لا صلة لها بالموضوع والتغاضي عن الأخطاء الصغيرة.

---

(١) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القنّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، ط١، المطبعة الرحمانية- مصر، ١٣٣٨هـ=١٩٢٠م.ص١٠٤.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، أبو عمرو عمر بن يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١: ٧٢٧.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، ٤: ١٠٤٥-١٠٤٦.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف لابد للباحث من سرد أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة وكما يأتي:

١- العتاب لا يتعارض وآليات المنهج التربوي الحديث.

٢- يمكن للعتاب أن يكون بديلاً عن أساليب أخرى في التربية، كالعنف الجسدي أو اللفظي.

٣- الاستفادة من المناهج التربوية الحديثة التي لا تتعارض والمنهج التربوي الإسلامي.

٤- كان العتاب في السنة النبوية المطهرة رقيقا، وكان يسبقه ذكر لفضائل من يعاتبه.

٥- تنوع أساليب العتاب في السنة النبوية.

٦- السنة المطهرة هي المصدر الأوفر للمؤسسة التربوية.

وبعد استعراض نتائج الدراسة ارتأينا أن نقدم بعض التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في العملية التربوية وكما يأتي:

١- تقبل العتاب من الآخرين برحابة صدر والاعتذار عن الأخطاء التي تقع أثناء العملية التربوية.

٢- الابتعاد عن جعل العتاب محوراً أساسياً أثناء التدريس.

٣- اختيار الألفاظ المناسبة عند العتاب.

٤- الاهتمام بأساليب العتاب في السنة النبوية، ودراستها دراسة أكاديمية.

٥- رفع توصيات للمؤسسة التربوية بإثراء المكتبات بدراسات رائدة في هذا المجال.